طيبة ذات المائة الباب

اكتشف معهد الآثار الفرنسي في صحراء ليبيا اكتشافات أثرية عظيمة قال عنها العلماء الفرنسيون ان ما اكتشفه الانكليز في وادي الملوك لا يعد شيئاً الى جانبها لما فيها من الخطوط البارزة والنقوش والرسوم الحافظة لمالتها الطبيعية . هذا مع اكتشاف مدينة الفنانين في دير المدينة تدل على مبلغ ما وصل اليه قدماء المصريين من اتقان الفنون

وقد كتب العلامة ج . دي جيرنكور في احدى المجلات الكبرى عن هذه الاكتشافات مقالا حلاه بالرسوم البديعة ونحن نلخص أهم ما جاء بهذا المقال اثباتاً لما كان عليه قدماء المصريين من عظمة ومدنية

ان السائح المولع بمصر القديمة الذي يرغب في الذهاب الى طيبة لابد له من أن يمر بالقاهرة وبها لا يشيد الأهرامات وآثار سقارة فحسب وهي البراهين البارزة الناطقة الناهضة شاهداً على عظمة تلك الامبراطورية القديمة بل يرى في دار الآثار بمصر كنوز الآثار التي اكتشفت قديماً وحديثاً

واذا ما قطع السائح ساعات بالاكسبرس يصل الى الأقصر في وسط منطقة طيبة فيلقى هناك مجموعة من الخرائب والمعابد والقبور تثير المدينة ذات المائة باب في نفسه أثر العظمة لأنها كانت مستقر الفراعنة في الامبراطورية الجديدة (من سنة ١٨٥٠ الى سنه ١٠٩٠ قبل الميلاد) وهي رمز عظمة وقوة مصر وهي كذلك مدينة راقية بديعة عاصمة العلم والذكاء والتجارة حافلة بالكنوز والوسط الذي تؤول اليه ثروات العالم والذي توجد به الطرف النفيسة مكدسة اكداساً في المعابد وتشاهد بهذه المدينة المباني الفخمة العظيمة التي تنهض دليلا على مبلغ تلك المدينة من العظمة

تمتد خرائب طيبة على ضفتي النيل . ففي الفضاء الفسيح من الجهة الشرقية

توجد بقايا الكرنك الشهيرة بما فيها من دروب ومعابد وهياكل ومقابر ودهاليز وأعمدة وأبواب وتماثيل وغير ذلك من الآثار الخالدة. وعلى مسافة ثلاثة كيلومترات في وسط هذه المدينة السنجابية يقوم معبد الاقصر بأعمدته المرصوصة موازية لمجرى النيل ومنها آثار ميتون الفائقة في مقدمة سلسلة بديعة مكونة من اثني عشر معبداً وخلف هذه جبال الطباشير ذات البياض الناصع وبها عدة فجوات هي القبور وهذه الفجوات تفتح حيث يدخل منها الضوء وفي نهاية هذه الفجوات مداخل توجد قبور الملوك ووادي الملكات

ومن الامور التي تستوقف النظر وتدل على اتصال الحاضر بالماضي ان طريقة الزراعة في بذرها وحصادها على ضفة النهر في تلك الجهة هي نفس الطريقة التي كانت مستعملة منذ أربعة آلاف عام كما هو مثبوت من الكتابات والنقوش الموجودة في سقارة والزوارق الموجودة بالنيل اليوم تماثل تماماً أشكال الزوارق في الامبراطورية المصرية القديمة

ويشاهد في مدينة الأقصر نفسها ان قسماً كبيراً من أهلها البالغ عددهم ٤٠٠٠٠ نسمة ولا سيما الأقباط منهم لا يزالون يماثلون في أشكالهم وأحوالهم ما كان عليه أهالي تلك العصور السحيقة وكذلك ترى شيخ القرية مماثلا لنظرائه من التماثيل الخشبية القديمة مرتفع الكتفين ممتلىء الوجه متسع العينين ممتدهما يعلوهما حاجبان كثيفان ويبدو كأنه يشخص ببصره الى الأمام. وشكل المرأة المصرية القديمة المعروفة بضيق ما حول الردف واتساع الجسم في نصفه الأعلى حتى يصل الى كتفين عريضتين هو نفس الشكل الذي يشاهد اليوم في النساء الموجودات عند هيكل الأقصر.

ومع ان شكل العنصر لا يزال موجوداً فكذلك لا يزال الأهالي متخلقين بخلق المصريين القدماء منذ أربعين قرناً مثال ذلك حالة الشعر عند النساء فهي تشاهد مضفورة بجدائل تتدلى على العنق وهي مصنوعة من الصوف. وبعض نساء

الأقصر لا يزلن يحملن في أجيادهن قلائد عريضة مصنوعة من قطع الذهب والفضة والأحجار والخرز الذي يسمط في خيط على شكل نصف دائرة وهذه الحلى مماثلة تماماً للموجود في دار العاديات بالقاهرة . وهذه الأشكال التي تشاهد كثيراً في الوجه القبلي نادرة جداً في الدلتا ولكنها مع هذا شائعة في القاهرة

عجائب مدينة الفنانين

ان طيبة قد أخرجت من الآثار كنوزاً ثمينه ولقد ظن أن العدد الوافر الذي استخرج منها هو كل ما حوت أرضها حتى أصبحت خالية منها ولكن الأمر بالعكس فانها ما زالت ميداناً فسيحاً للمنقبين في الوقت الحاضر ولن تزال كذلك ميداناً لهم في المستقبل وليس أدل على هذا مما وفق اليه المنقبون الفرنسيون هذا العام فان فرنسا ما فتئت تعنى حتى اليوم بتقاليدها في الآثار المصرية حتى لقد كان أكبر فحول العلماء في هذه الآثار من الفرنسيين أمثال ماريت وشامبوليون وماسبيرو وهي لا تزال مقيمة في القاهرة كما في رومية وفلورنسا وأثينا ودمشق دوراً للعلم والفن تدأب فيها على مواصلة جهودها الماضية .

ونريد أن نتكلم الآن عن معهد الآثار الشرقية الفرنسوي الذي يديره الآن العلامة جورج فوكار الذي يوفد كل عام نفراً من رجال هذا المعهد للبحث والتنقيب الذي يراه مجدياً وقد أسفر تنقيبهم عن اكتشافات ذات أهمية عظيمة اذ وفقوا الى اكتشاف معبد وقرية ومقبرة في طيبة بالمكان المعروف باسم دير المدينة القريب من معبد بطليموس المشيد من الطوب النيء

وهذا الاكتشاف هو حي برمته من أحياء طيبة لم تصل اليه من قبلُ يد وهو مطمور تحت الأنقاض التي تراكمت من سفح الجبل وقد افتتح المسيو بروبير من علماء المعهد الفرنسوي بالقاهرة في هذا المكان (ورشة) فسيحة للتنقيب والابحاث فأزال الانقاض الى مسافة ٣٠٠ متر صوب الجنوب . وفي نهايتها من ناحية الوادي

وجد مساكن بمعبدها وفي سفوح التلال وجد مقبرة فسيحة وهذه كلها تمثل في مجموعها حياة المصريين في عهد فراعنة الامبراطورية الجديدة أي في عصر تحوتموس وأمينوفيس وستي ورمسيس أي من سنة ١٥٠٠ الى ٩٤٠ قبل الميلاد والمعبد الكائن في الوادي الصغير ليس مشيداً على طريقة مباني القرية في ذلك العصر اذ أدخلت عليه تعديلات كثيرة في عهد اليونانيين والرومانيين . أما مظاهر البناء الأصلية فقائمة فيما جاوره . وتوجد تحت الرمال التي تغطي المنازل طرق وميادين القرية ولقد كان للمسيو بروبير حظ كبير في اكتشاف مجموعة من منازل أهل ذلك العصر ومن غريب ما وفق اليه اكتشافه حياً كان يقطنه الفنانون الذين يعيشون بصناعة القبور دون سواها وهذا الحي يعد بمثابة مدينة صغيرة للعمل يضعون فيها تصميمات وزخارف قبور الملوك

وقد تعاقب منذ عهد العائلة الحادية والعشرين في هذه الجهة جماعات من المهندسين الفنيين والحفارين على الخشب والحجارة والنقاشين وغيرهم ولم تكن المنازل تحوي فقط الأشياء اللازمة للحياة المنزلية كأواني المطبخ ولعب الأولاد وأدوات التزيين بل كانت أيضاً تحوي الأدوات الخاصة بكل مهنة من المهن وبذلك قد وقفنا على جميع الصناعة التي كانوا يصنعون بها القبور والتي كان المصريون القدماء يجعلونها في المحل الأول . فنحن الآن قد ألممنا بما كانت عليه الحياة في تلك العصور السحيقة حتى في أصغر تفاصيلها ومظاهرها المختلفة وأصبحنا كأننا معاصرون لذلك الحفار الذي خلف آلاته ونماذجه وكذلك النقاش والكاتب الذي كان يكتب الأمور الأدارية وسجل المواليد والمرتبات وقرأنا معهم ما كتبوه عن حياتهم الأدبية والدينية

ومما اكتشف بعد أربعة آلاف سنة تابوت من الخشب المحفور وبه مومياء لأحد الفنانين وجدت سليمة من كل كل عطب وهي في تابوتها وأربطتها وهذا هو رسمها

وترى في الرسم الآتي بعض العمال المصريين من النوبيين جادين في حمل ما يستخرج من التنقيب الى أماكن بعيدة وكان هذا التنقيب في هيكل به موتى

فن الزخرفة عند القدماء

ان جميع هذه الآثار الثمينة تدلنا على مبلغ ما وصل اليه الفنانون من الاتقان والآثار التي وجدت في دير المدينة تصلح لأن تكون مصدر مستندات مهمة لأن أولئك المصريين القدماء كانوا يعنون بتخليد حياتهم ولهذا أخذوا يحفظون مظهر حياتهم في الأرض بكل دقة وهم يعتقدون أنهم بعد مماتهم يجب أن تكون لهم جميع مظاهر حياتهم وما كانوا يشغلون أنفسهم به ولهذا كانوا يضعون في قبورهم جميع ما كان من ملذاتهم وأسلحتهم في الحياة ولهذا رأينا قبور الملوك والملكات حافلة بالكنوز الثمينة التي كانت لهم في حياتهم الملوكية ولذلك رأينا هذه القبور في كل وقت من الأوقات عرضة للسرقات والنهب

والمعروف حتى الآن من هذه القبور ستون قبراً للملوك وعشرة قبور للملكات وأمراء صغار وأكثر من ٣٠٠ قبر لرجال من النبلاء أو ممن هم أقل أهمية من الملوك في الحياة . وبعض هذه القبور لجماعة من الحكام والنبلاء وبعضها لأهالي القرية ولهذا نكون على مقربة منهم في مماتهم فنتمثلهم كيف كانوا في الحياة ونقف على اسمائهم وسلالاتهم فكأن هذه القبور أساتذة تعلمنا ما نجهل عنهم

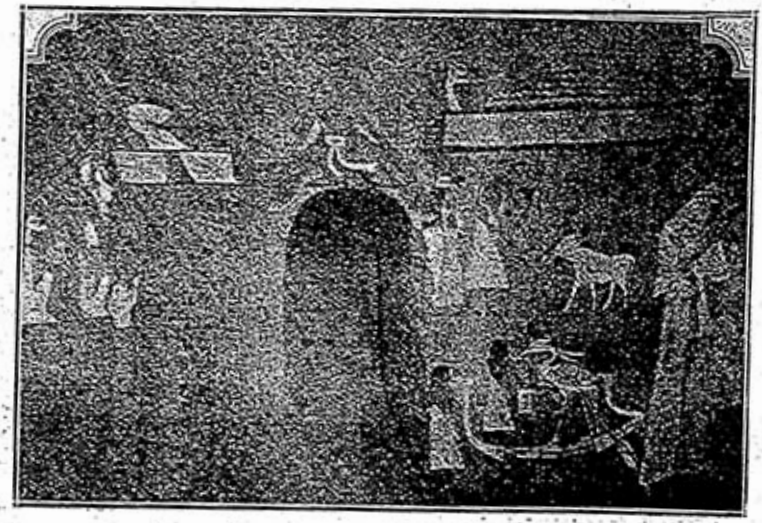

صورة مدخل لمقبرة أحد الوجهاء المسمى (أري نيفر) وهو القبر التسعون بعد المائتين من أمثاله وترى فيه سلم دائرة تنتهي الى الغرفة التي بها الفقيد ومن أعلى الى أسفل صورة تمثل ما قاله هوروس من اتصال الموت بالحياة الشمسية وتمثل العجل (أبيس) وزورق الموتى يحمل أبيس المقدس وعلى قمة الباب جلست الالهة السماء (نيفوتوس) ذات جناحي الطائر ويرى في الزاوية من الجهة اليسرى الفقيد منحنياً فوق كتابة من (كتاب الموتى) وهو يشرب الماء المجدد للحياة

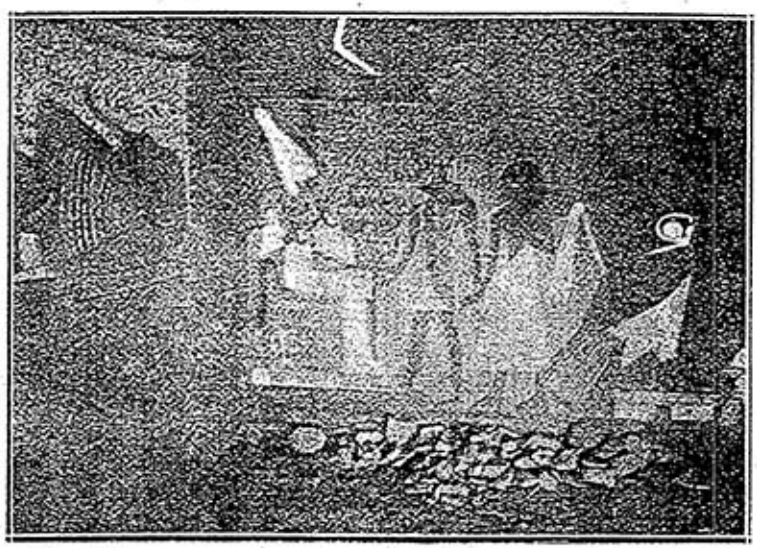

ترى على هذا الرسم الفقيد في غرفة موته مصوراً كأن الاله الحصان (أنوبيس) يقوده أمام أزوريس

لسنا وان أحسابنا كرمت يوماً على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ونبني ونفعل مثل ما فعلوا